

- صناع المخطوط العربي ودورهم في جودة كتابته وإخراجه:
- الناسخ:

حددت المصادر التاريخية دور الناسخ وواجباته في الحفاظ على جودة كتابة وإخراج المخطوط العربي عامة، والمصحف الشريف على وجه الخصوص، ومنها:

- ناسخ المصحف الشريف لا بد وأن يكون على طهارة في البدن والثوب والمكان، وأن يكتب كلام الله بأدب وتعظيم وأن يحسن خطه، ولا يطمس في الحروف شيئاً، وأن تكون أدواته مرتبة وكاملة، وأن يحرص على جودة بري القلم وإطالة جلفته وتحريف قطته، ويحافظ على الجلسة الصحيحة عند الكتابة، ويحذر من الكتابة على ضوء ضعيف، وألا يجهد نفسه حتى لا يسأم، ولا يسرع في الكتابة، ويحسن التأنى.

- أن يتبع أستاذه ويعمل بإشاراته وتوجيهاته ويبالغ في إكرامه ويكسب رضاه⁽¹⁾.

- ناسخ المخطوطات والكتب من حقه ألا يكتب شيئاً من الكتب المضله، ككتب أهل البدع والأهواء، وكذلك لا يكتب الكتب التي لا ينفع الله تعالى بها، وكذلك كتب أهل المجون، وغالباً مستكتب هذه الأشياء يعطى من الأجرة أكثر مما يستعطيه مستكتب كتب العلم، فيجب على الناسخ ألا يبيع دينه بدنياه.

- من الناسخ من لا يتقي الله سبحانه وتعالى ويكتب عن عجلة ويحذف في أثناء الكتابة شيئاً رغبة في إنجاز الكتاب، إذا كان قد استؤجر على نسخه جملة، وهذا خائن لله تعالى في تضييع العلم، وجعل الكلام بعضه غير مرتبط ببعض، ولمصنف الكتاب في بتره، وللذي استأجره في سرقة منه هذا القدر، فعليه ضمان نقصان الورق، ولا أجرة له.

- لو استأجر ناسخ لنسخ كتاب فغير ترتيب الأبواب، فإن أمكن بناء بعض المكتوب على بعض، بأن كان عشرة أبواب، فكتب الباب الأول آخرًا منفصلاً، بحيث يبني عليه، استحق بقسطه من الأجرة، وإلا فلا شيء له.

- إذا استؤجر ناسخ على أن ينسخ ختمة أو كتاب بأجرة معينة، فتأخر الناسخ في كتابتها مدة من الزمن، وفي تلك المدة جاد خطه، فهل له أن يطلب زيادة على تلك الأجرة لأجل جودة خطه، أو يختار الفسخ، فأفتى الشيوخ بأن ليس له واحد من الأمرين، بل عليه كتابتها بتلك الأجرة.

- من يستأجر ناسخاً يبين له عدد الأوراق والأسطر في كل صفحة، وإذا اختلف في الحبر فإذا لم يعين على من يكون، فالأصح الرجوع إلى العادة، فإن اضطربت وجب البيان، وإلا فيبطل العقد⁽²⁾.

(1) شادية الدسوقي عبد العزيز: فن التذهيب العثماني في المصاحف الأثرية، ص 247.

• الوراق:

كان لازدهار حركة التأليف في العصر العباسي وشيوع حركة الترجمة من اليونانية والفارسية والسريانية والسنسكريتية واللاتينية⁽³⁾ إلى اللغة العربية أن نشأت مهنة اشتق اسمها من الورق الذي عرف في سمرقند وصنع، ثم انتقلت صناعته إلى بغداد وبعض الحواضر الإسلامية، فعرفت هذه المهنة بالوراقة، وعرف مشتغلوها باسم الوراقين، والوراقة: هي معاناة الكتب بالانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور المكتبية والدواوين، والوراق: هو الناسخ أو من يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها، وقد يقال لمن يبيع الورق وهو الكاغد ببغداد الوراق أيضاً، ولعل البدايات الأولى للوراقة كانت متصلة ببيع الورق والأقلام وأنواع الحبر والمداد، وكل ما له صلة بالكتابة⁽⁴⁾.

ومن أخلاق الوراقين: حسن الأخلاق في العمل-الطهارة-منع الغش-المحافظة على سر المهنة-عدم خلط أصناف الأوراق ببعضها-معرفة المضمون قبل النسخ-مراقبة العمل-الحذر في النسخ-عدم نسخ الأمور الكاذبة-عدم النسخ للظالمين-وضوح الخط في النسخ-استخدام الحبر بما يوافق كل نوع من الورق-النصح في النسخ-تحريم النسخ في المسجد-ترك العمل عند سماع الآذان-التمسك برأي الجماعة في نسخ الختمة-الالتزام بالآداب العامة-تجنب المفاصد في العمل-عدم استخدام الورق الشريف أو الذي يصلح للكتابة كحشو في عملية التجليد-المحافظة على ترتيب الكرايس وعدم القبول بالخطأ-عدم التجليد لأهل الأديان الباطلة⁽⁵⁾.

• المصور:

(2) للاستزادة انظر: ابن مماتي (الأسعد ابن مماتي ت 606هـ): كتاب قوانين الدواوين، جمع وتحقيق: عزيز سوريال عطية، سلسلة الذخائر 209، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2012م، ص 302، السبكي (تاج الدين عبد الوهاب ت 771هـ): معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق وضبط وتعليق: محمد علي النجار، أبو زيد شلبي، محمد أبو العيون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1996م، ص ص 131-132، حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م، ج3، ص ص 1176-1177.

(3) أيمن فؤاد سيد: كنوز دار الكتب المصرية، ص 8.

(4) للاستزادة انظر: السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص 132، حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف، ج3، ص 1321، محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1990م، ص 155، يحيى وهيب الجبوري: الكتاب في الحضارة الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م، ص ص 65-66، خير الله سعيد: وراقو بغداد في العصر العباسي، ص ص 181-185.

(5) خير الله سعيد: وراقو بغداد في العصر العباسي، ص ص 247-275.

المصور أو الرسام هو صانع الصورة ومعناها الشكل، وقد تطلق على صانع الشكل بالألوان أو بالخرط أو بالتجسيم، غير أن العرف جرى على إطلاق المصور على صانع الشكل بالأوان أو بالخطوط، وكانت مكانة المصور أقل من مكانة الخطاط والمذهب والمجلد، وكان المصور تابعًا للخطاط، فهو ينتظر إلى أن يفرغ الناسخ أو الخطاط من كتابة المخطوط، ثم يبدأ هو بتوضيح النصوص بالتساوير في حدود ما يتركه له من مساحة في صفحات المخطوط، والتساوير التي جاءت في المخطوطات الإسلامية إما أن تكون تصاوير توضح نصوص الكتب العلمية وهي تصاوير توضيحية لا مجال للإبداع الفني فيها، وهي رسوم كتب النبات والطب والجغرافية والهندسة، وإما أن تكون تصاوير لتزويق الكتب الأدبية، ويظهر فيها الطابع الفني أكثر تميزًا ووضوحًا، ذلك لأن المصور لم يكن يعني بتوضيح النص بل تنصرف عنايته إلى رسم صور جميلة تتجلى فيها مهارته، فيضفي على الكتاب طابعًا فنيًا، كما تم تزويق الكتب التاريخية أيضًا⁽⁶⁾.

• ومن أشهر تصاوير الكتب العلمية والأدبية:

- ورقة من كتاب المسالك والممالك للاصطخري المعروف بالكرخي توفى سنة 346هـ/ 957م، وقد كتبت بقلم معتاد في سنة 878هـ/ 1473م، ومحفوظة بدار الكتب المصرية⁽⁷⁾. (لوحة رقم 31)
- ورقة من مخطوطة الفروسية أبعادها 24×16 سم مكتوبة بخط النسخ ومزوقة بالتساوير من مصر ترجع إلى أواخر القرن 9هـ/ 15م، ومحفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة⁽⁸⁾. (لوحة رقم 32)
- صفحتان من مخطوط الأدوية المفردة للغافقي، يرجع إلى تركيا في العصر العثماني من القرن 10هـ/ 16م، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة⁽⁹⁾. (لوحة رقم 33)

حقًا لقد ازدهرت وتنوعت مدارس التصوير الإسلامية، ومن أشهرها المدرسة العربية أولى مدارس التصوير الإسلامي في تزويق الكتب والمخطوطات الملونة، وانتشرت مراكزها الفنية في جميع أنحاء العالم الإسلامي كالعراق وسورية ومصر وإيران وشمال أفريقيا والأندلس، وقد تأثر استخدام المصور للألوان

(6) للاستزادة انظر: حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف، ج3، ص ص 1104-1106، يحيى وهيب الجبوري: الكتاب في الحضارة الإسلامية، ص ص 279-292، شاكرا لعيبي: الخط العربي نظرية جمالية وحرقة يدوية (محاولة لتأصيل جمالي واجتماعي للخط العربي)، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 2007م، ص ص 139-141.

(7) محفوظة برقم سجل 199 جغرافيا. نقلًا عن: الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية: من نوادر مخطوطات دار الكتب، ص ص 110-111.

(8) محفوظة برقم سجل 18236. نقلًا عن: وفاء الصديق ومأمون فنصة: السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي بين القاهرة ودمشق، سلسلة منشورات متحف الطبيعة والإنسان العدد 65، مطابع المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، 2009، ص 92.

(9) محفوظة برقم سجل 3907. نقلًا عن: أحمد الشوكي: دليل متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، ص ص 232-233.

بالفكر الإسلامي الذي يبعد عن التمثيل الواقعي باستخدام الألوان الزاهية البراقة في تنفيذ رسومه، كاللون الأزرق والأخضر والوردي والأحمر والأسود والذهبي، ثم انتشر استخدام الألوان في جميع مدارس التصوير الإسلامية المختلفة والمتعاقبة عبر العصور الإسلامية في شرق وغرب العالم الإسلامي إلى ما عرف باستخدام الخطط اللونية، وكان لكل لون دلالاته ورمزه الفني والفكري والديني والعقائدي والسياسي والاجتماعي⁽¹⁰⁾.

• المجلد:

اعتبر عمل المجلد في فنون الكتاب متمماً لعمل الخياط والرسام أو المزوق، فوقع على كاهل المجلد مسؤولية الحفاظ على أوراق الكتاب من التلف، والعناية بمظهره الخارجي، بحيث يتلائم مع قيمة الكتاب ومحتوياته⁽¹¹⁾.

وقد وصلتنا أسماء بعض المجلدين، فاشتهر في عصر الخليفة المأمون العباسي مجلد كان يدعى "ابن أبي الهريش" وكان يعمل في خزانة المأمون المسماة "خزانة الحكمة"⁽¹²⁾.

ومن أشهر المجلدين أيضاً: "علي بن محمد الوراق" كان في بلاط "المعز بن باديس"⁽¹³⁾، وكان يميل بخطه إلى أوضاع الكتابة البغدادية الراقية في عصره، مع اتقانه الرسم والتجليد والتذهيب، وكانت تعاصره في البلاط "درة الكاتبة" وكان مما أنتجها مصحفاً عرف باسم (مصحف الحاضرة) مكتوب على ورقته الأخيرة عبارة: "كتب هذا المصحف ورسمه وذهبه وجلده علي بن أحمد الوراق للحاضرة الجليلة حفظها الله على يد درة الكاتبة"⁽¹⁴⁾.

(10) للاستزادة انظر: حنان عبد الفتاح محمد مطاوع: "الألوان ودلالاتها في الحضارة الإسلامية مع تطبيق على نماذج من المخطوطات العربية"، مجلة الاتحاد العام للثأريين العرب، العدد 18، القاهرة، 2017م، ص ص 429-435.

(11) سامح فكري البنا: الفنون الإسلامية دراسة في تجليد المخطوطات في العصور الإسلامية. العصر التيموري، ص 126.

(12) حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف، ج3، ص 1023.

(13) المعز بن باديس من دولة بني زيري في شمال إفريقيا، ولد سنة 398هـ/1007م في المنصورية، وملك بالمحمدية في سنة 406هـ/1015م، وفي عام 440هـ/1048م خلع طاعة الفاطميين، تلك الطاعة التي كان يدين بها هو وأسلافه، وخطب للخليفة القائم بأمر الله، وتوفي سنة 453هـ/1061م، ينسب إليه خطأ كتاب "النفحات القدسية للحسن بن أبي القاسم بن باديس، و"عمدة الكتاب وعدة ذوي الأبواب"، ويعنون: "عمدة الكتاب في صفة الحبر والأقلام والخط". للاستزادة انظر: كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: رمضان عبدالنواب، مراجعة: السيد يعقوب بكر، دار المعارف، القاهرة، ط2، د.ت.، ج5، ص 107.

(14) للاستزادة انظر: يحيى وهيب الجبوري: الكتاب في الحضارة الإسلامية، ص 263.

ومن الذين قاموا بتجليد الكتب في بلاد اليمن المقدسي فذكر في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ما نصه: "وباليمن يلزقون الدروج ويبطنون الدفاتر بالنشا، وبعث إلي أمير عدن مصحفًا أجده فسألت عن الأشراس (مادة لاصقة كالنشا) بالعطارين، فلم يعرفوه، ودلوني على المحتسب، وقالوا: عساه يعرفه، فلما سألته، قال: من أين أنت؟ قلت: من فلسطين، قال: أنت من بلدة الرخاء، لو كان لهم أشراس لأكلوه، عليك بالنشا، ويعجبهم التجليد الحسن ويبذلون فيه الأجرة الوافرة، ربما كنت أعطى على المصحف دينارين" (15) ويفهم من النص أنه عندما زار المقدسي بلاد اليمن وبخاصة مدينة عدن اشتغل بتجليد الكتب، وأعجب أهل اليمن بهذا التجليد الحسن، وكانوا يبذلون فيه أجرًا كبيرًا، فكانوا يعطون المقدسي الكتب ليجلدها مقابل ما يقارب من دينارين عن تجليد المصحف الواحد (16).

• المذهب:

هو أحد فناني الكتاب الإسلامي، وعمله هو تذهيب المخطوطات أي تزويقها بصفائح الذهب، وقد ظهر المذهب في مجال الفنون بعد الخطاط، وكانت طائفة المذهبيين في المرتبة التي تلي الخطاطين من حيث الأهمية (17).

وارتبط فن التذهيب بالمصحف الشريف لمكانته وقدسيته، ومن حق المذهب ألا يذهب غير المصحف (18) ومن أقدم الأمثلة لتذهيب المصاحف هو مصحف من الرق يرجع لحوالي سنة 283هـ/900م محفوظ في مكتبة شيستربيتي في مدينة دبلن بإيرلنده (19).

وكان المشتغلون بحرفة التذهيب يجتمعون في تنظيم أو طائفة أو نقابة لينظروا فيما يتعلق بحرفتهم كنعوية إنتاجهم وكيفية الحصول على المواد الخام اللازمة لها، حيث إن الفرد الواحد لا يمكن أن يمارس نشاطه إلا إذا كان منتميًا لطائفة يحتمي بظلمتها ويخضع لتقاليدها ونظمها (20).

(15) المقدسي (محمد بن أحمد المعروف بالبشاري ت 380هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1991م، ص 100.

(16) للاستزادة انظر: ربيع حامد خليفة: الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، ص 242.

(17) حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف، ج3، ص ص 1072-1073.

(18) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص 133.

(19) شادية الدسوقي عبد العزيز: فن التذهيب العثماني في المصاحف الأثرية، ص 16.

(20) شادية الدسوقي عبد العزيز: فن التذهيب العثماني في المصاحف الأثرية، ص ص 217-218.